

- ضبط أسلوب الكتابة على القالب المتوفر على موقع المجلة:
<https://drive.google.com/file/d/1xhY0OLWw1o6UiloUVqRP8NlfvGYt4p8c/view>
- توفير الكتابة اللاتينية (transliteration) للموضوع وفقاً للمعايير

الدلالة الصوتية لحروف الروي في ديوان "شجر الليل"

Phonetic Indications of The Last Letters In the Poetry Collection of "Night Trees"

الاسم الكامل للكاتب (بدون اللقب العلمي ومكتوب باللغة الإنجليزية)
جهة العمل/اسم الكلية والجامعة
الإيميل

د. محمد زكريا دارلين

Muhammad Zakaria Darlin, Lc., MA., Ph.D.

Muhammad@bsa.uad.ac.id

د. شريف بدير الألفي

Sherif Badir Alalfy, Ph.D.

sherifalalfy1@gmail.com

Abstract:

There were many letters of narration in the free poetry of its first pioneer in Egypt, the poet Salah Abd al-Sabour, in violation of the rhyme rules established by al-Khalil. In this modest research, the writer tried to reveal the hidden secrets behind the various rhymes by using the statistical and structural stylistic approaches. This research aims to discover the important phonetic characteristics in "Shajar al-Layl" (Night Trees) collection by Salah Abdel Sabour, using the stylistic-statistical approach, as evidence of the sincerity of the emotion of iambic poetry and the extent of its interaction with the conditions of time and place in which poetry is recited. The result of the research is that the poetry of Salah Abdel Sabour in the collection

of "Shajar al-Layl" is full of individual vocal characteristics that distinguish the poet's stylistics from other poets of his time, including that he tends to use the letter al-Rawi (Nun) more than other letters of al-Rawi due to its flexibility and suitability with a mysterious feeling. Knotted by the poet, which corresponds to the poet's dramatic style. Also, those vocal phenomena that are contrary to the ancient poetic traditions of diversifying the iambic and rhyming letters in a single poem are what really enrich the meanings and make the poem rich in interpretations and literary interpretations and did not diminish its poetic advantages at all.

Keywords: *Free Poetry, Structural, Stylistic, Salah Abdel Sabour, Shajar Al-Layl.*

- تأكد من توفر الملخص باللغتين الإنجليزية والإندونيسية، وتتكون كل منهما من 150-250 كلمة. لا أكثر ولا أقل.
- التأكد من أن الملخص يتكون من أهداف البحث وطرق البحث ونتائج البحث.

الملخص

لقد تعددت حروف الروي في شعر التفعيلة أو الشعر الحر لرائده الأول في مصر، الشاعر صلاح عبد الصبور، وذلك مخالفاً لقواعد القافية التي أسسها الخليل. حاول الكاتب في هذا البحث أن يكشف الناحية الوظيفية للبنية الإيقاعية باستخدام منهجي الأسلوبية الإحصائية والبنوية. و يهدف هذا البحث إلى اكتشاف الخصائص الصوتية المهمة في ديوان "شجر الليل" لصلاح عبد الصبور باستخدام المنهج الأسلوبي الإحصائي تدليلاً على صدق عاطفة شعر التفعيلة ومدى تفاعلها مع أوضاع الزمان والمكان الذي يُقال الشعر فيه. ونتيجة البحث أن شعر صلاح عبد الصبور في ديوان "شجر الليل" مليء بالخصائص الصوتية الفردية التي تميز أسلوبية الشاعر من الشعراء غيره في زمانه، منها أنه يميل إلى استخدام حرف الروي (النون) أكثر من غيرها من حروف الروي الأخرى، وذلك لصفة مرونتها ولتناسبها مع شعور غامض معقود لدى الشاعر التي يوافق أسلوب الشاعر الدرامي. كما أن تلك الظواهر الصوتية المخالفة للتقاليد الشعرية القديمة من تنوع التفاعيل وحروف الروي في القصيدة الواحدة هي التي تُثري المعاني بالفعل وتجعل القصيدة غنية بالتفسيرات والتأويلات الأدبية، ولم يقلل من مزاياه الشعرية على الإطلاق.

الكلمات المفتاحية: شعر الحر، البنوية، الأسلوبية، صلاح عبد الصبور، شجر الليل.

مقدمة

من القيود التي وضعها القدماء لتحديد معنى الشعر هي ما تسمى بالقافية، وهي التي قد عرّفها الخليل بن أحمد الفراهيدي بأنها "مجموعة الحروف التي تبدأ بمتحرك قبل آخر ساكنين في البيت". (البحروري، ١٩٩٣: ص ٨٦). وقد نجدها متحدة في كل قصيدة في الشعر القديم. ولكن سرعان ما تتجدد الأحوال وتتغير الأشعار في العصر الحديث في أواخر القرن العشرين حتى ترك الشعراء المعاصرون شعر البيت وانتقلوا إلى الشعر الحر أو التفعيلة.

فتتشكل نظرة غالبية النقاد على أن كثافة تردد القافية في القصيدة مما يجعلها تركز صوتها العام في المحور الخاص، فلا قيمة إذن لمن يقول إن وحدة القافية أو تعددها قد أدت إلى انكسار القصيدة وتشتهتها، بل من الممكن أن نقول إن تنوع القوافي وحروف الروي في القصيدة الواحدة في مثل شعر التفعيلة غالبًا مما يجعل صاحب القصيدة له سماته الخاصة به التي تُفَرِّق بينه وبين غيره من الشعراء، كما قال د.محمد حماسة عبد اللطيف: "إن القافية في الشعر الحر قد اختلفت وظيفتها عن نظيرتها في الشعر التقليدي، فإذا كانت القافية في القصيدة العمودية كاشفة عن الوحدة داخل التنوع فإن القافية في القصيدة الحرة أصبحت كاشفة عن التنوع داخل الوحدة. ويفسر تنوعها في سياق كل قصيدة على حدة كما أن توحد القافية في القصيدة القديمة يفسر أيضا في سياقها على كل حال." (حماسة، ٢٠١٤: ص ٣٥).

ومما يجعل الباحث يختار هذا الموضوع قول النقاد ممن يقولون إن تنوع القوافي وحروف الروي في شعر التفعيلة قد أدى إلى تشتت معنى القصيدة ووحدها. وهل هذه الفكرة القديمة في شكل الشعر تتماشى مع الزمان الحاضر وتتطوره أم لا بد من الثورة الفنية لتغيير شكل الشعر التقليدي حتى يتوافق مع روح الزمان وعواطفه؟ لنرى هنا مدى توافق هذا الرأي الأدبي المعاصر بتغيير العواطف المتفاعلة مع تغيير الأوضاع التي تحيط بالشاعر، وذلك في إطار البحث التحليلي الأسلوبي الإحصائي في ديوان صلاح عبد الصبور المشهور "شجر الليل". وإضافة إلى ذلك، أن صلاح عبد الصبور لا محالة بأن يقال أنه رائد فكرة الحدائث الشعرية لعدم تقييد شعره بأي من القيود التقليدية من البحور المتساوية والقوافي المتحدة، فهو مثيل لا نظير له لهذه الحركة الشعرية الحديثة في العرب عامة وفي جمهورية مصر العربية خاصة، لذا يختار الباحث هذا الشاعر الشهير.

وعلى رغم من ذلك التحول الشكلي في الشعر الحديث لم يترك الشاعر المعاصر مهام الشعر الأساسية كما يخاف منه النقاد التقليديون. فلا معنى إذن في خوفهم أن يشغل الشعراء المعاصرون في المحاولة الأدبية الفاشلة حتى يقعوا في تشتت معنى القصيدة في الأخير، بل الحق أن العكس صحيح. يستطيع الشاعر المعاصر أن يتجاوز الحدود إلى توليد المعاني و الأفكار الجديدة بتعدد صور وأشكال الشعر الحديث مع تقنياته المتنوعة التي توافق روح الزمان، وهذا واضح مما لا يفعله التقليديون من قبل. كما هو واضح لنا هنا أن الشعراء المعاصرين لم يغفلوا في مراعاة جوانب الشعر الشقي من الألفاظ والعواطف والمعاني التي تُستلهم من البيئة العصرية و تنبثق من أوضاع الزمان والمكان الذي يقال فيه الشعر، وهذا مما يزيد في قيمة الشعر الحديث ويرسخها. فكما قال البلاغيون : لكل مقام مقال، فلا يمكن أن يكون شعر الجاهلية مثلاً مما يوافق أوضاع العصر الحاضر وذوق أجياله المتغاير وتلائم روح زمانهم المتحضر، وذلك لشدة الاحتياج إلى التغيير الأدبي في الزمان الحاضر لا محالة، ولا سيما على المستوى الصوتي الجاذب فاعلياً لأذن السامعين.

ومن التساؤلات التي نحاول على الإجابة عنها في النتائج الأخيرة من هذا البحث هي :

- ما هي الحروف التي يميل إلى استخدامها صلاح عبد الصبور في ديوانه "شجر الليل"؟ وما الدلالة لكل منها؟

- ما هو السبب وراء تجديد الشكل الشعري للشاعر؟

- ما هي الأهداف التي استهدفها الشاعر و الحركة الأدبية الحديثة في تجديد وتحول شكل الشعر المعاصر خاصة في تنوع حروف رويته؟

أدخلها في الفقرة: [RVWR1] Commented

ويمكننا أن نذكر بعض البحوث السابقة المتعلقة ببعض العناصر الإيقاعية والصوتية في الموضوع، منها الدراسة في (دور الكلمة في شعر صلاح عبد الصبور "الناس في بلادي" أمودجًا) ل د. إيناس محمد سيد حسن من جامعة الأزهر الشريف في سنة ٢٠١٨. ومن النتائج التي تُذكر في هذه الدراسة أن هناك التأثير بلغة الحياة اليومية وهو من أهم سمات شعر الحداثة "الشكلية والموضوعية"، و من ناحية المعجم أعاد الشاعر بعض العبارات ويكرارها بمدف التوضيح والتأكيد كذلك، والقطع بين عناصر الجملة، وغيرها من النتائج الإفرادية المعجمية. لذا ارتكزت هذه الدراسة في قصيدة "الناس في بلادي" فقط دون غيرها من القصائد، بالإضافة إلى عدم التركيز في شكل الإيقاع وحروف الروي على المستوى الصوتي باستخدام المنهج الأدبي الإحصائي الحديث.

وكذلك تذكر الدراسة الأخرى في (أشكال التمرد الإيقاعية التقليدية عند صلاح عبد الصبور) لأحمد عادل عمار من جامعة القاهرة في سنة ٢٠١٥، أن هناك أثر بالغ لكمية التمرد الشعري في شعر صلاح عبد الصبور على المستوى العروضي ، وأن النبر و الشكل الطباعي لعبا دورا هاما في إبراز الصراع في البنية الإيقاعية، كما أن التنغيم واحد من أكثر العناصر التي استخدمها الشاعر. وهذه الدراسة ارتكزت في بحث مسائل نقط التحوّل من الإيقاع الكلاسيكي إلى الإيقاع الجديد له فقط دون التركيز في الخصائص الصوتية. وقد وجدنا الدراسة الأخرى المتعلقة بالموضوع تحت العنوان (من عناصر الإيقاع في القصيدة العربية المعاصرة دراسة تطبيقية في "شجر الليل" لصلاح عبد الصبور)، للأستاذة صبيرة قاسى من جامعة البويرة في سنة ٢٠١٨. وهذه الدراسة تذكر أن التفعيلات العروضية لعبت دورا هاما في تغيير الملامح الشعرية الحديثة لصلاح عبد الصبور من ناحية بنية الوزن الشعري (نظام التفعيلة - ظاهرة الإبدال والتفعيلة - وقوانين التجاور- وكذلك الوقفة المركبية والدلالية في شعره). وهذا البحث ارتكز في أنواع التفعيلة ووزنها في "شجر الليل" فقط، دون البيان المتعمق والبحوث المستقلة في حروف الروي والقافية.

لذا قد تبين لنا أنه لا يوجد أي البحوث المشابهة التي تتركز في البحث عن دلالة حروف الروي في ديوان "شجر الليل" لصلاح عبد الصبور على المستوى الصوتي بالمنهج الأسلوبى الإحصائي، و نظراً لعدم البحوث الأدبية السابقة التي تغوص في أعماق هذا الباب الصوتي في ديوان "شجر الليل" لصلاح عبد الصبور نختار هذا الموضوع المتكامل.

و في الأخير يهدف هذا البحث إلى الرد الأدبي الخالص و محاولة الباحث تأييد رأي الشعراء المعاصرين في شكلية شعرهم التفعيلية. وشعر التفعيلة في رأي كثير من النقاد المعاصرين هو من أنواع الشعر الجديد الذي يلائم روح الزمان وعناصر تنوع الثقافة التي تنشأ بفعالية الاحتكاك الثقافي بين شعوب في المدائن الكبيرة، وهي بالطبع من ظواهر تحضر المجتمع العربي الحاضر أو فيما يقوله العلماء بـ Urbanization of Arabic Literature وهو النظر في تأثير الزمان و المكان وتغييره في ذوق المجتمع على المستوى الأدبي.

منهج البحث

وفي صدد هذا البحث، سنستخدم منهجيّ البحث الأدبي المعاصر لتلاؤم روح هذا البحث مع تلك المناهج الجديدة المنفصلة مع أوضاع الزمان والمكان الحالي، وهما المنهج البنوي والأسلوبي. ومن أهم النظريات التي استخدمها الباحث هو نظرية الإحصاء ليساعده في استخلاص النتائج. ومن أدوات البحث التي اعتمدت عليها كتب مناهج الأدب المعاصر وعلم اللغة الحديث بالإضافة إلى بعض الكتب التي تتعلق بالموضوع على المستوى الصوتي. ومن أهمها: أساليب الشعرية المعاصرة لصالح فضل، العروض و إيقاع الشعر العربي لسيد البحروي، مناهج النقد المعاصر لصالح فضل، تحولات الشعرية العربية لصالح فضل، البلاغة والأسلوبية لهنزيش بليث، وعلم اللغة الحديث لمحمد حسن عبد العزيز، موسيقى الشعر الحر لعللي عشر زيد، وغيرها من الكتب والبحوث الأدبية القديمة والحديثة.

مفهوم القافية

من الضوابط التي وضعها القدماء لتحديد معنى الشعر هي ما تسمى بالقافية، والقافية في الاصطلاح لها تعاريف مختلفة، أشهرها اثنان: أولهما: أنها حرف الروي، أي الحرف الذي يتكرر في آخر كل بيت، وهذا هو تعريف "ثعلب" (ت: 291هـ)، بيد أن العلماء لم يأخذوا به، على الرغم من أنه التعريف الشائع للقافية، والدليل أن معظم الدواوين القديمة قد رتبت على حرف الروي، وهي تسمى القافية. بيد أن التعريف الثابت للقافية هو: أنها من آخر حرف في البيت، إلى أول ساكن يليه، مع المتحرك الذي قبله، وهذا هو تعريف "الخليل بن أحمد" (ت: 170هـ). (عياد، 1978: ص99) ولو انتبه "الخليل" لفكرة المقطع الصوتي Syllable لأصبح تعريف القافية: أنها المقطع شديد الطول آخر البيت.

ولقد نجد القافية متحدة على مدار القصيدة الواحدة في الشعر القديم، لكن سرعان ما تغيرت الأحوال والأشعار في العصر الحديث، فمع أواسط القرن العشرين ترك الشعراء البيت الشعري وانتقلوا إلى السطر الشعري أو ما سُمي بالشعر الحر.

القافية والدلالة الشعرية

والقافية لا تتوقف قيمتها عند الناحية الموسيقية فحسب، فكون القافية مرتبطة بالإيقاع لا يعني حصرها على مجرد الأداء الموسيقي بعيداً عن الموضوع الذي يتناوله الشاعر، ولقد وعى النقاد منذ القدم ارتباط القوافي بالأغراض والأجواء الانفعالية داخل القصائد، فقاموا بإرشاد الشاعر إلى كيفية اختيار القافية

الملائمة، فتقرأ قولاً لـ"بشر بن المعتز" (ت: 210هـ): من المعاني ما تتمكن من نظمه في قافية ولا تتمكن منه في أخرى (العسكري، الصناعتين ص: 45)؛ إذن فليست كل قافية ملائمة لكل غرض، ولذا رأينا كثرة النصائح في ضرورة تخير القافية، وتجنب النافرة منها التي لا تتواءم والموضوع الشعري، وفي ذلك يقول "ابن طباطبا" (ت 322هـ): "فإذا أراد الشاعر بناء قصيدة مخض المعنى في ذهنه، وأعد له ما يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه، والقوافي التي توافقه، وإن اتفقت له قافية فيشغلها في معنى من المعاني، واتفق له معنى آخر مضاد للمعنى الأول، وكانت تلك القافية أوقع في المعنى الثاني منها في المعنى الأول نقلها إلى المعنى المختار، الذي هو أحسن، وأبطل ذلك البيت، أو نقض بعضه، وطلب لمنه قافية تشاكله" (ابن طباطبا، عيار الشعر ص: 11)؛ إذن فموافقة القوافي للمعاني والأغراض شيء قد حرص عليه الشعراء والنقاد منذ القدم، فلقد تنبه القدماء مثل المحدثين إلى الأثر الموسيقي الذي تحدثه القافية، وإلى ضرورة ارتباط موسيقاها بدلالة القصيدة، وبذلك يتقرر ارتباط القافية بغرض القصيدة وجوها الانفعالي.

القافية و تنوع حروف رويها في الشعر الحر

وإذا خصصنا الكلام على الشعر الحر وجدنا القافية ليست بالعنصر الأساسي من عناصر هذا الشكل الشعري الحديث، وإن وجدت فيه، وذلك أن الشعر الحر قام على أساس التخفيف بل التحرر من القافية، بل وإلغائها إلغاء شبه كامل، وذلك بعدما أسرف فيها الشعراء فيما عُرف بلزوم ما لا يلزم إسرًا شديدًا، مما جعلها قيدًا يعوق انطلاق الشاعر في التعبير عن أفكاره ومشاعره.

ومن ناحية أخرى، قد نجد القوافي في الشعر الحر متنوعة في حروف رويه، ولم يكن هذا التنوع يُفسد بناء الشعر شكليًا ودلاليًا، بل قد يكمل الوظائف الشعرية الفارغة التي كانت قد تُترك وتُنسى في الماضي بسبب الإلتزام المفرط بالنظام الشعري الموحد في العروض الخليلي والقافية الواحدة. و تنوع حروف الروي في الشعر مثل الجسد الإنساني الواحد، كُلُّ يتكوّن من أجزاء: رأس وجذع وأطراف، ويتألف كل جزء من الأعضاء التي تتحد مشكلة الوحدة العضوية للجسد كله، فلكل عضو وظيفته الخاصة به التي تتكامل مع الوظائف الأخرى، حتى يستوي هذا الإنسان في الصورة ركبها أحسن الخالقين. ولا يمكن أن تتساوى الأعضاء في الشكل والوظيفة، أو يطغى وجود أحدها على الآخر، كأن يكون الجسد كله رأس أو يد أو كله أنف متساوي الشكل والوظيفة، فهذا يفسد الجسد عقليًا وشكليًا ووظيفيًا. ومثل هذا المنطق قد ينطبق أيضًا على القصيدة الحديثة التي قد تحمل أكثر من فكرة واحدة وعاطفة واحدة؛ بل قد تتعدد أغراضها ومجالات

الشعور فيها حسب الأوضاع الخارجية والداخلية المؤثرة في عواطف الشاعر، فتتكون الأجواء والأفكار والمضامين التي يريد الشاعر للمتلقى أن يستشفها من البنى الصوتية المتناسقة والمعاني الكثيفة المتكاملة. وهذه الأغراض والعواطف المتنوعة تُلزم الأشكال الشعرية الجديدة مما تلائم الأجواء الحديثة وهي مما يطلب التغيير في الأوزان وقوافيها وتنويع حروف رويها.

"وإن كانت الحال كذلك فيمكن أن يسأل السائل: أين تقع القافية المحور في حالة تنوع القوافي في القصيدة الواحدة؟ والإجابة عن ذلك بأن "القافية المحور تظل تتردد طوال القصيدة على مسافات متفاوتة". (زيد، ١٩٦٨: ص ٣٧٩). لذا لا بد أن ننظر إلى القافية التي كثر ترديدها بين تلك القوافي المتعددة في نفس القصيدة، فإن كان كثر ترديدها فهي القافية المحور لا محالة.

وفي هذا السياق يسعى البحث إلى تحليل كل القوافي في ديوان صلاح عبد الصبور "شجر الليل"، ورصد الظواهر المتكررة فيه للوقوف على سماته الظاهرة المتنوعة.

فبتحليل كل قصائد الديوان تحليلاً صوتياً، يظهر استخدامه لحروف الروي وقد شمل كل الحروف الهجائية، على أنه قد أكثر من استخدام ستة منها فقط وهي: النون، الراء، الميم، الهمزة، اللام، التاء. وقد توسّط في استخدام بعض حروف الروي مثل: الدال، الباء، القاف، الفاء، الحاء، الياء، الهاء، الكاف، الجيم. وقلّ استخدام بعضها مثل: الثاء، الزاي، السين، الشين، الذال، العين، الحاء، الصاد، الضاد، الطاء، الظاء، الواو.

وفيما يأتي تحليل لسته من هذه الأحرف تحليلاً صوتياً لرصد بعض الظواهر الصوتية فيها وتفسيرها:

١- النون

وهي أكثر الحروف استخداماً في قوافي ديوان "شجر الليل" كلياً. ومن القصائد التي تُستخدم فيها النون حرف روي رئيس قصيدة (تأملات ليلية) وهي الأولى ترتيباً في الديوان:

أبحرْتُ وحدي في عيون الناس والأفكار والمدنُ

وتحتُ وحدي في صحاري الوجدِ والظنونُ

غفوتُ وحدي، مشرع القبضة، مشدود البدن

على أرائك السعف

طارق نصف الليل في فنادق المشردين

أو في حوانيت الجنون

وقد استخدم الشاعر حرف الروي النون المردوفة بالواو أحياناً، والمردوفة بالياء والألف أحياناً أخرى في استهلال قصيدته لما كان يشعره من ضياع وحنن. فلقد رأت بعض الدراسات "أن صوت النون أكثر تناسبا مع الحالة التي يكون عليها الشاعر الذي يعاني ألم البعاد والرحيل... لأنه صوت أنفي، فعادة عند الحديث عن الرحيل والبعاد تحتنق الأصوات فلا تخرج من الفم وتخرج من الأنف" (نجار، ٢٠١٧: ص ١٥٨٦). وهذه الصفات تتوافق مع موضوع القصيدة الذي يدور حول أحوال الشاعر في وحدته الموحشة وهو لا يعرف حاله ويكتم شعوره عن الآخرين، ولا شيء يعينه لكي يرجع إلى (قممه البيضاء)، فهو مثل النهر الذي يهفو إلى مجراه، ويتمنى الرجوع إليه لكيلا يشرب منه سفهاء الناس أو حتى يلتقي بهم، وتعاوده هذه الفكرة كل مساء كرجع الصدى.

وفي قصيدة "الفصول المنتزعة" غلب أيضاً روي النون على حروف الروي الأخرى، تلك القصيدة التي بدأها الشاعر بـ"بكائية" حزينة على أحوال وطنه بعد هزيمة يونيو (1967) حتى أنه كان يختم كل مقطع من مقاطعها بقوله "آه يا وطني"؛ لقد وصل عدد مرات وروده إلى ٣٣ مرة، منها النون المردوفة بالياء والواو والألف، ومنها الموصولة بالياء، مع العلم بأن المردوفة بالياء كانت الأكثر وروداً في الجزء (ب) من القصيدة مثل (حطين، الدين، الكذابين، القوالين، المهزومين، سنين)، ومعلوم أن الريف بالياء يعطي إحساساً بالانكسار تبعاً لطبيعة إنتاج صوت الياء المكسور، ومنها المردوفة بالألف مثل (إيران، الجدلان، بخجلان، الميدان)، ومنها المردوفة بالواو التي وردت كلها في الجزء الأوسط في القصيدة مثل (الملعون، المسجون). واللافت في هذه القصيدة أن روي النون لم يرد في الجزء الأخير (د) والسبب واضح من معنى هذا المقطع الذي نرى فيه الجندي يطلب من الشاعر الصمت، فلا يتساءل عن شيء، ولا يسمح له حتى بالتعبير عن حزنه.

وكذلك يكثر استخدام روي (النون) قصيدة "وقال في الفخر" حيث وصلت إلى ١٣ مرة، وهي تأخذ المرتبة الأولى في إجمالي مرات التكرار مقارنةً بحروف الروي الأخرى المسيطرة على القصيدة، ومثل ذلك قوله:

أحسُّ فيك يا مدينتي المحيره
بأنبي،
أضلُّ من رسالةٍ مغفلة العنوان
وأنبي
سوف أظل واقفًا على نواصي السكك المنحدره
أبحثُ عن مكان
وربما

يلمسني ما يلمس النبات والحديد والجدران

ويظهر في هذه القصيدة أيضا استخدام روي النون المدروفة بالألف مثل (العنوان والجدران والمكان)، مما يناسب غلبة الإحساس بالضيق والحيرة المحسورة على القصيدة.

كما يغلب استخدام روي (النون) في قصيدة (٤ أصوات ليلية للمدينة المتألمة)، يقول صلاح عبد الصبور:

واعتنقنا، وغصونَ الشجر الموحش
حتى دبَّ في أعطافنا
شبق الحزن الذي كلَّ دجى يعتادنا
فاضطجعنا،
ووهبنا، وذبنا فيه، حتى لقنا، واشتقنا
ثم .. ألقانا هنا

هذه النون المردوفة بالألف قد تناسب عاطفة الحزن والوحشة والرحيل، هذا الشعور الذي عبّر عنه الشاعر بالاستعارات طوال جزء (صوت مجموعة نساء). وتكرر في هذه القصيدة حوالي ١٠ مرات، على نحو أكثر كثافة مقارنةً بحروف الروي الأخرى في القصيدة نفسها.

ونجد أيضًا استخدام روي (النون) في قصيدة "تنويعات" ست مرات، منها المردوفة بالياء والألف ومنها الموصولة بالهاء، ومثال ذلك:

يا ولِيم بتلر بيتس

كم أضيئَ يقيني بفكاهتك الأسيانه

وقد استخدم الشاعر روي النون الموصولة بالهاء هنا لاشتياقه إلى حكاية مأساوية لوليم بتلر بيتس (William Butler Yeats)، وهو شاعر أيرلندي رمزي قريب من فكرة العوالم الروحانية وما وراء الطبيعة وعوالم المستور. وقد أخذ شاعرنا هذه الفكرة الميتافيزيقية في هذه القصيدة موضوعًا له في عبارته "الإنسان هو الموت"، وهو يشير هنا إلى (وعي الموت)، بمعنى أنه "لا يتوقف الموت كمصير حتمي على البشر، الأشياء أيضًا تموت، أغنية المغني الأعمى (الغافل عن الموت) تموت والخمرة تموت ميتتها الخاصة (تتبخر) وحتى النشوة التي لا يكسوها شيء مادي قابل للموت تتلاشى"¹ (القدس العربي، ٦ أغسطس ٢٠٠٥). فلم يسيطر روي النون على هذه القصيدة لتناسب قافية العنوان (التنويعات) مع القافية الأخرى وهي (التاء) وذلك لسيطرة أجواء الموت والعدم في القصيدة التي يناسب معها صوت التاء، وتحمل دلالتها على معنى الشدة وهي من صفات صوت التاء القوية، كما أنه ليس في مقدرة أحد أن يرد على الموت.

وقل ورود روي (النون) في قصائد أخرى مثل (البحث عن وردة الصقيع)، حيث استخدمها صلاح عبد الصبور استخدامًا بسيطًا، منها (النون) الموصولة بالياء مرتين، ومنها (النون) المردوفة بالألف والياء التي وردت كل منها مرة واحدة فقط، مثل قوله:

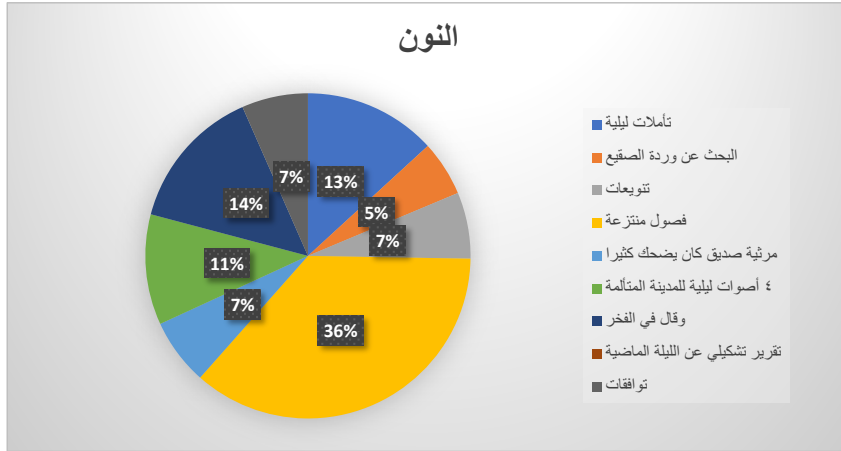
أبحث عنك في الخطى المفارقة

يقودها إلى شيء، لا مكان

وهم الانتظار والحضور والغياب

ولم تغلب (النون) في هذه القصيدة على حروف الروي الأخرى لسيطرة روي (الراء) على القصيدة، وذلك قد يكون لغلبة جو الانتظار والضياع فيها. ومع ذلك نجد استخدام (النون) هنا في المرتبة الرابعة، وهي من أقل حروف الروي استخداماً فيها.

والرسم البياني الآتي يوضح نسبة استخدام روي (النون) في كل قصيدة من قصائد ديوان "شجر الليل":



(شكل رقم: 1)

أضف معلومة أو اسما في كل شكل أو صورة
Commented [RVWR2]:

وواضح من الشكل السابق أن روي النون قد سيطر تماماً على قصيدة "فصول منتزعة"، تلك القصيدة التي بدأت بيكائية يبدأ كل مقطع من مقاطعها بقوله "أبكي"، وانتهت مقاطعها الأولى بقوله "آه ... يا وطني"، وعندما ندرك أن الغرض الرئيسي من نظمها هو البكاء على الوطن المهزوم بعد عام (1967) نعلم مدى حزن الشاعر في ذلك الوقت، ومدى إحساسه بالضياع والتشتت، فلقد كان وقتاً غاب فيه اليقين عن الشعب المصري كله، الشعب الذي لقي هزيمة في الوقت الذي ظن فيه أنه الأقوى، وأنه المنتصر، فبعد

حساب كل هذه المؤثرات نعلم مدى الحزن والضياع الذي سيطر على الناس، والشاعر بالطبع واحد منهم، كل ذلك أثر في سيطرة النون، ذلك الصوت الأنفي المختنق الذي يلائم أوقات الحزن والأسى.

٢- الراء

قد وصل استخدام روي الراء في ديوان شجر الليل إلى (٧٦) مرة. فهي تحتل المرتبة الثانية بعد (النون) في انتشارها؛ ومعلوم أن الراء في العربية صوت مكرر، وبالتالي فهي تناسب معنى التكرار. لذا قد غلب استخدام روي (الراء) على قصيدة (البحث عن وردة الصقيع)، فهي القافية المحور التي وصل ترددها داخل القصيدة إلى (٢٣) مرة، وذلك مثل قول الشاعر:

أبحث عنك في مفارق الطرق

واقفة، ذاهلة، في لحظة التجلي

منصوبةً كخيمةٍ من الحرير

يهزها نسيم صيفٍ دافئ،

أو ريح صبحٍ غائمٍ مبلل مطير

وفي هذه القصيدة ورد روي الراء في الجزء الأول من القصيدة والجزء الثالث والرابع والخامس منها. وكما نرى فإن سيطرة روي الراء لا تحتاج إلى بيان، أما دلالتها على التكرار الذي ذهبنا إليه أعلاه فهي واضحة على مدار القصيدة ككل، فالشاعر طوال القصيدة يبحث عن وردة الصقيع، يخفق في كل محاولة، غير أنه لا يتوقف أبدًا، مما يقوده لتكرار المحاولة، ونلاحظ ذلك في سطره الذي بدأه بكلمة "أبحث"، والذي تكرر عشر مرات، في كل مرة يبحث عنها ولا يجدها، فيعاود البحث في مكان آخر قال:

أبحث عنك في ملاءة المساء

...

أبحث عنك في مقاهي آخر المساء والمطاعم

...

أبحث عنك في العطور القلقة

...

أبحث عنك في الخطى المفارقة

...

أبحث عنك في معاطف الشتاء إذ تلف

...

أبحث عنك في مفارق الطرق

...

أبحث عنك في مرايا علب المساء والمصاعد

أبحث عنك في زحام المهممات

...

أبحث عنك في المتاجر

أبحث عنك في محطات القطار والمعابر

وقد أكدت الدراسة الأخرى أن (الراء) تناسب معنى الجدّية في التغزل والنسيب أكثر من غيرها من الحروف

مع وجود مشاعر الخوف، وذلك كما قال أبو الحسن علي بن عبد العني الفهري :

أمرتني بركوب البحر أركبه غيري لك الخير فإخصه بذا الراء

فالراء هنا بمعنى الخوف. وكان (العرب يصورون اللفظ على هيئة المعنى، وهذا مذهب كما يقول "الرافعي"

قد نبه عليه الخليل وسيبويه وابن جنى، قال الخليل : كأنهم توهّموا في صوت الجندب استطالة فقالوا في

العبارة عنه " صر، وتوهّموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا صرصر ... منها أن المصادر الرباعية المضعفة

تأتي للتكرار والزعزعة كالقلقلة والصلصلة... وأن الفعلى من المصادر والصفات تأتي للسرعة نحو الجمزي والوقلي... "كما أن العرب يعتقدون بأن هناك : (تشبيه أصوات حروف الكلمة بالأحداث المعبر عنها وتقديم الحرف المضاهي لأول الحدث، وتأخير الحرف الذي يضاهي صوت آخر الحدث أو المعنى وذلك سوقا للحروف في الكلمة على سمت المعنى المقصود والغرض المطلوب كقولهم : شد الحبل " فالشين لما فيها من التفشي يشبه بصوت أول انجذاب الحبل قبل استحكام العقد ...، ومن ذلك قولهم "جر الشيء" قدموا "الجيم" لأنها حرف شديد وأول الجر مشقة على الجار والمجرور جميعا، ثم عقبوا ذلك بالراء، وهي حرف تكرير، وكرروها مع ذلك في غالب الأمر صاعدا عنها ونازلا). (يونس : ص ٢٠-٢١).

وكذلك كما قال عبد القاهر الجرجاني في كتابه أسرار البلاغة مبينا العلاقة بين النسقي اللفظي والإيقاعي : (والألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التأليف، ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب، فلو أنك عمدت إلى بيت شعر أو فصل نثر، فعددت كلماته عدا كيف جاء واتفق، وأبطلت نضده ونظامه الذي عليه بني وفيه أفرغ المعنى وأجرى، وغيرت ترتيبه الذي بخصوصيته أفاد كما أفاد وبنسقه المخصوص أبان المراد"). (الجرجاني : ص ١٤-١٥).

ولم تدل هذه الكلمات - على روي الراء - هنا على معان ودلالات حقيقية؛ بل على معان مجازية تناسب معنى تأكيد وصف الحب والود، وهو من أمنيات حياته الضائعة التي رمز إليها بـ (وردة الصقيع).

وفي (فصول منتزعة) تكرر استخدام روي (الراء) ١٢ مرة. وهي أحيانا موصولة بالهاء أو بالألف أو بالياء وأحيانا مردوفة بالألف والواو، ونسبة استخدامها هنا تُعد نسبة عالية مقارنة باستخدامها في القصائد الأخرى. ومثل ذلك قول الشاعر:

جاء الزمن المنحط، فحط على القصر الأجلاف

جعلوه مخزن منهوبات، مبعي، ماخوره

فرت من أجماء القصر الأسطوره

إذا كانت الراء صوت مكرر فهي صوت منحرف كذلك، لذا انتشرت بالقصيدة المفردات ذات المعاني المنحرفة التي تنفر منها التقاليد والثقافة الشرقية، وذلك باستخدام روي (الراء) مثل: (الماخور)، وهو لفظ

يشير إلى بيت الدعارة، دعمه لفظ (العاهرة) المكتوبة في وسط الأسطر. فمثل هذه الكلمات جاءت في آخر السطر على روي (الراء)، مما أضاف تأكيداً على انحراف الأحوال الاجتماعية. وعلى هذا الروي أيضاً جاءت (الأسطورة) وهي التي قد تناسب معنى جمال مدينته في الأيام الماضية، وهي مُستلهمة من خياله الواسع. فمثل هذه الكلمات جاءت في آخر السطر على روي (الراء)، مما أضاف تأكيداً على انحراف الأحوال الاجتماعية، وكما أنها جاءت للسخرية من هذه الأشياء المستفزة بطريقة غير مباشرة.

ولم تأخذ (الراء) حظاً وافراً في قصيدة (تنويعات) وذلك على خلاف قصيدة (فصول منتزعة)، وهي التي تُعد من أكثر القصائد تنوعاً في حروف الروي، ومنها الراء، وهي في المرتبة الثالثة في نسبة ورودها في هذه القصيدة، حيث وردت ١٢ مرة. ومثل ذلك قول الشاعر في مطلع البكائية:

أبكي جوهرة،

سيدة الجواهر،

الجوهرة الفرد

كانت تلمع في مقبض سيف سحري مغمد

وتمثل هذه الجوهرة وطنه الضائعة أحلامه، وهي التي تكلم عنها في هذه القصيدة بأسلوب الرثاء على ضياع أغلى الأشياء في حياته من جوهرة، وقصر أسطوري، ومهر وثأب ذي جناحين، وكل شيء غال لا يوجد في الحقيقة، وهذه الصور من التصوير الخيالي لضياع ذكريات الأيام الماضية، بالإضافة إلى ضياع أحلامه المقيمة في وطنه الحبيب. ومن عادات العرب أن تصور الوطن معشوقاً يرغبون في لقائه ويشتاقون إليه في ترحالهم.

وفي قصيدة (مرثية الصديق كان يضحك كثيراً) أيضاً لخصنا منها أن (الراء) جاءت مسيطرة على القصيدة بأكملها وهي تتكرر ١٥ مرة. ومثل ذلك قول الشاعر:

كان صديقي في ساعات الليل الأولى

يتجول في بلدته،

كانت بلدته ساعات الليل الأولى

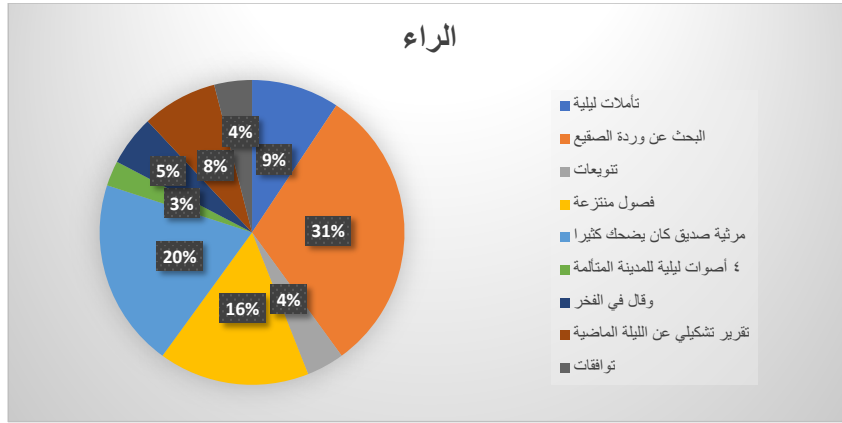
ويُجمع من مهجته المتثوره

أو من بهجته المكسوره

ما ذاب نهارًا في أسفلت الطرقات

وجاءت (الراء) في هذه القطعة الشعرية مردوفة بالهاء، بما قد يناسب شدة حب الشاعر لصاحبه، مع امتداد الهاء التي قد توحى بتوقع الشاعر شعور الألم والضياع الذي سيعيشه بعد وفاة صاحبه.

والرسم البياني الآتي يوضح نسبة استخدام الراء كليًا في كل قصائد الشاعر:



(شكل رقم: 2)

وكما هو واضح من المخطط السابق فإن غلبة الراء بتكرارها تحققت بقصيدة "البحث عن وردة الصقيع"، والتي يكرر بها الشاعر محاولاته للبحث عن وردته المفقودة؛ كما أنها بانحرافها لاءمت معنى الانحراف السياسي والاجتماعي الذي تسبب في حدوث النكسة المصرية، والتي عول عليه الشاعر كسبب مباشر لهذه الانتكاسة، لذا كان من الطبيعي أن نجد الراء المنحرفة قد كثر ترددها بقصيدة "فصول منتزعة".

٣- الميم

من مميزات الحروف الشفوية (ف، ب، م) أنها عذبة سلسلة المخرج (نجار: ص ١٥٩٤). ومعلوم أن حرف الميم عندما ينطق فإنه يكون مصحوبًا بغلق الشفتين تمامًا، مما قد يدل على ضرورة الصمت، وغلق الفم، وعدم التفوه بشيء؛ وعندما ندرك ذلك، وفي ذات الوقت ننظر إلى أكثر قصيدة ورد بها هذا الصوت الشفوي المغلق كروي، نجدها في قصيدة "فصول منتزعة"، ولم تكن (الميم) قليلة الاستعمال في ديوان "شجر الليل"؛ بل أخذت المرتبة الثالثة، وهي الأكثر ترددًا مقارنةً بحروف الروي الأخرى. حيث ورد هذا الروي بها (14) مرة، بنسبة تصل إلى (21%)، وهذا لم يأت اعتباطًا، فلقد وردت قافية الميم بالقصيدة مصحوبة بمعنى الصمت وغلق الفم الذي يُجبر عليه الإنسان حين يواجه السلطة الغاشمة، ولقد يزيد ذلك وضوحًا إذا علمنا أن قوافي هذه القصيدة جاءت على شكل مقاطع صوتية مغلقة ومزدوجة الإغلاق، أعني أن المقطع ينتهي بصامت واحد أو بصامتين (س ع س) (س ع س س) كما يقول في مطلعها:

جاء الزمن الوغدُ

صدى الغمْدُ

وتشقق جلد المقبض ثم تخدُّ

سقطت جوهري بين حذاء الجندي الأبيض

وحذاء الجندي الأسود

علقت طينا من أحذية الجنْدُ

فكما نرى جاءت القافية المغلقة بل والمزدوجة الإغلاق مناسبة وكبت السلطة الغاشمة للشاعر الذي يبحث عن مجال للتعبير عن رأيه فلا يجد، وعندما يعبر عن مشاعره عبر قصيدة / جوهرة، فلا يجد إلا من يجبره على السكوت، سواء كان محتلاً كما رمز له بحذاء الجندي الأبيض، أو كان سلطاناً محلياً كما عبر عنه بحذاء الجندي الأسود، ولا يجب أن ننسى أن الجندي المصري / الأسود ترقى على يد الجندي الإنكليزي / الأبيض، فهما سواء يصادرون قصيدته / جوهرة، يلقون بها، يطغونها بأقدامهم، يدنسونها، ويشوهونها حتى لا يراها أحد، وإن رآها وجدها غير جذيرة بعنايته لما لحقها من طين الأحذية الدبكتاتورية.

لم تكن (الميم) قليلة الاستعمال في ديوان "شجر الليل" ولا كانت ضئيلة الدلالة؛ بل أخذت المرتبة الثالثة، وهي الأكثر ترددًا مقارنةً بحروف الروي الأخرى خصوصًا في قصيدة (تقرير تشكيلي عن الليلة الماضية) وهي التي تتكرر (١٢) مرة، من ذلك قول الشاعر في المقطع الرابع (في ذكرى الدرويش عبادة):

كنا نراه في أول العمر، في

مقهى بميدان الجيزة، وأتهدم

المقهى، وتفرق الصحب، منهم

من أسرع سعيه نحو النهاية، أنوار

تكلم الشاعر كأنه يسرد لنا الحكاية التي عاشها في حياته والحوادث التي تزامنت معه، وذلك مثلما نجد في مطلع (في ذكرى الدرويش عباده) التي قد تعددت أحرف الروي فيها، منها الميم المقيدة والمدورة^(١) ببعض الجمل التي وردت بعدها. وهذه الحروف تتناسب مع طبيعة الخبر والوصف الذي تحمله معاني الأبيات، فكأن الشاعر يريد أن يُظهر معنى الانهدام والانحيار بالتقطع الوقي قبل أن يواصل إلى السطر الذي يليه، حتى يتأمل المتلقي ويتوقف قليلاً في شأن هذا الفعل الذي قد يحمل معانٍ ودلالات عديدة قبل أن يواصل قراءته. وذلك بالإضافة إلى أن هذا الفراغ قد يكون مأخوذاً من الطريقة النثرية في الكتابة، والشاعر يريد بذلك التجديد في شكل الشعر الحديث حتى يتناسب مع السرد الدرامي.

وكذلك جاءت قصيدة (توافقات) وهي الأخيرة في هذا الديوان مغمورة بروي (الميم) التي تكررت ١٣ مرة، ومن ذلك قول الشاعر في ختام قصيدته:

تجيء إلينا الإشارات من مرصدٍ

الغيب يكشفُ عن سرها

العلماء الثقات، تقول:

انتظار عقيم!

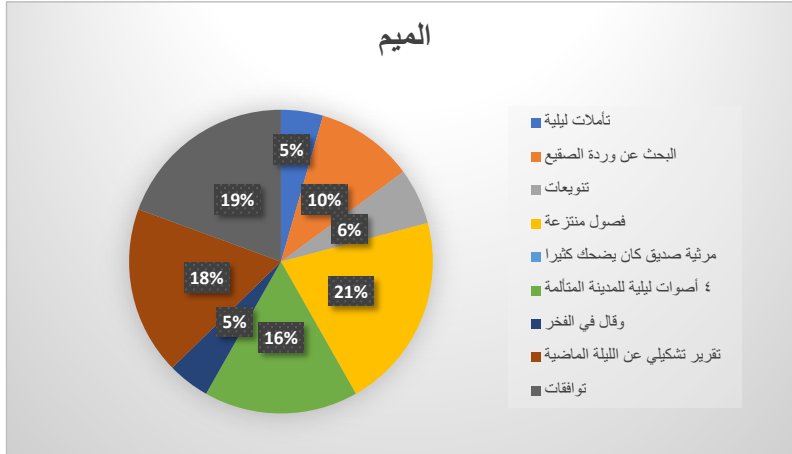
(١) يعني أصابها التدوير

انتظار عقيم!

ومن الجدير بالذكر أن هذه الميمات تزيد من التأكيد على قوة سرد الحكاية والقصة وطول انتظار الشاعر مجيء الخبر الذي رأى أنه لا نهاية لانتظاره، كما قيل : (إن موسيقى الحرف يقصد بها النغم الصوتي الذي يحدثه الحرف، وعلاقة هذا النغم بالتيار الشعوري والنفسي في مسار النفس الشعري، ومن المعروف أن لكل حرف مخرجها صوتياً، ولكل حرف صفات، ومخارج الحروف وصفاتها بينها وبين دلالة الكلمة علاقة شعورية وفنية لا يتعمد الشار إظهارها، بل يتجسد التوافق النغمي والانسجام اللفظي تجسداً فطرياً لدى الشاعر الموهوب المتمكن من أدواته اللغوية والفنية، وصاحب الموهبة الحقيقية). (يونس: ص ١٤).

وبرصد مرات ورود روي (الميم) في هذا الديوان كله يتبين أنها تكررت ٦٨ مرة. وقد تناسب هذه الظاهرة أداء غلبة طبيعة الخبر والسرد على الديوان بأكمله، وهي سمات رئيسة في قصائد الشعر الواقعي، نظراً لكون الشاعر أوائل الشعراء الواقعيين في مصر.

والرسم البياني الآتي يوضح نسبة استخدام روي (الميم) في هذا الديوان:



(شكل رقم: 3)

ومن حروف الروي التي يكثر استخدامها في هذا الديوان هي (الهمزة). وهو من الحروف الحلقية التي قد تناسب معنى إظهار الألم والمرارة والاحتقان، ومخرجه من داخل الحلق، ويستخدم عادةً عند رثاء حبيب أو قريب، فهو مرتبط بالألم والحسرة غالبًا. ولذلك نجد هو الغالب على قصيدة (4 أصوات ليلية للمدينة المتأملة) ولاحظ أن هذه الأصوات ليلية لا نهارية، ودائمًا ما يرتبط الليل بالشجن وانطلاق الأحران، وفي التراث الشعبي المصري دائمًا ما تسمع (يا ليل .. يا عين)، فالليل للحزن والعين للبكاء، ولك أن تتحقق من معنى الألم والمرارة بقول الشاعر التالي:

أندرنا من قبل أن يجيء

تراب لونه الرديء

أندرنا من قبل ان تدهمنا خيوله المفاجئة

بطبله الخافت في إيقاعه البطيء

أندرنا من قبل أن ينشر ريح الوحشة الوبيء

...

على امتداد بحر الظلمة الكابية المليء

أندرنا من قبل أن يجيء

بأن يوما مجدبا تقدمه

وظل يلتف على أرواحنا

حتى تهتكت خيوط نوره الصديء

ولا شك في سوداوية المقطع السابق وانتشار الألم والمرارة خلاله؛ أما في قصيدة (تأملات ليلية) السابق شرحها، لم يستمر الشاعر في استخدام روي (النون)؛ بل يمزجها أحيانًا بحرف روى آخر مثل (الهمزة)، وهي تتكرر ١١ مرة، وأكثرها تُستخدم مردوفةً بالألف ومنها المردوفة بالياء، وذلك مثل في قوله في (عماء) و(عمياء):

سريت وحدي في شوارع لغاتها، سماتها، عماء

أسمع أصدااء خطاي،

ترن في النوافذ العمياء

وطرأت بين الشمس والسحابة

ونمت في أحضان ربة الكتابة

لكنني، هذا المساء

(ممداً ساقِي في مقعدي المؤلف)

أحس أي خائفُ

ولأن الهمزة لا تتحقق إلا بوقفة حنجرية تسد مجرى الهواء الخارج من الرئتين تجد نطق الهمزة هنا يتماهى وانسداد الطرق والمنافذ، فاللغة التي تعبر بها عما بصدرك عماء، والنوافذ التي تسمح بالرؤية عمياء؛ إن انحباس صوت الهمزة تفسر أحوال الشاعر الذي ضاق صدره بالأوضاع السائدة آنذاك، وهو حينئذ يريد الخروج من تلك الأحوال المعقدة، ولم تقف محاولته في البحث عن الحلول حتى ولو كانت الطرق أمامه مغلقة وشعور اليأس مسيطراً عليه.

وأما في قصيدة (البحث عن وردة الصقيع) جاء روي الهمزة في المرتبة الثانية بعد روي (الراء) وقد وردت ٩ مرات. وهي هنا قد تناسب الألام التي عاشها الشاعر طوال بحثه عن أمنياته الضائعة ورمز إليها بوردة الصقيع، ومثل ذلك قول الشاعر:

وحيثما تَهْتَرُ أجفاني

وتفلتين من شباك رؤيتي المنحسره

تذوينَ بين الأرض والسمااء

ويسقط الإعياء

منهمراً كالمطره

على هشيم نفسي الذابلة المنكسرة

كأنه الإغماء

وأما في قصيدة (فصول منتزعة) استُخدمت (الهمزة) ١٠ مرات وهي جملة غير قليلة مقارنةً بحروف الروي الأخرى مثل (التاء) و(الحاء) و(الياء) التي لم يصل عددها كلياً إلى أكثر من ١٠ مرات، ومثل ذلك قول الشاعر:

أبكي قصراً أسطورياً من جلوة ألوان

تغزل حين تمد إليها الشمس المعطاء

حاجتها من خيطِ النور الوضاء

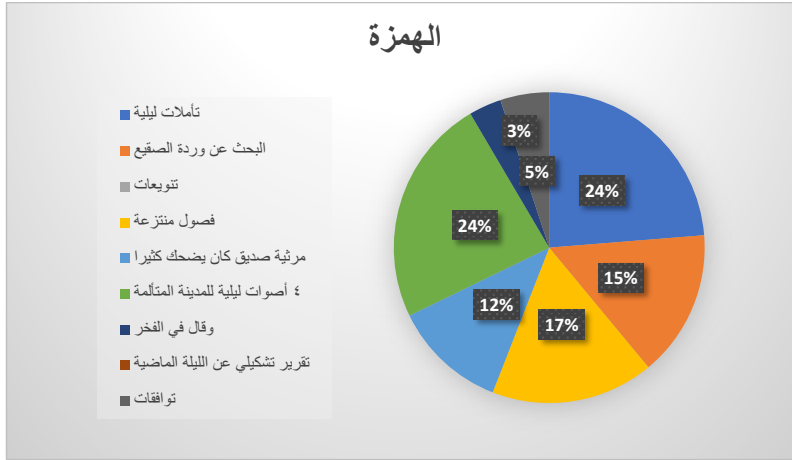
وكما يظهر من سياق الكلام المتسق مع هذا الإيقاع الصوتي فإن هذه الهمزات قد تناسب شعور الألم والأسى، وفي نفس الوقت تُرشد القارئ إلى غزارة أمنيته لما حملته (الهمزة) - وهي من الحروف الحلقية - من شعور اشتياق الشاعر إلى ما كان عليه الوطن وأحوال مجتمعه في الزمان الماضي، والتي رأى أنها كانت أحسن الأحوال. وعلاوة ذلك يمكن القول إن روي (الهمزة) في قصيدة (مرثية صديق كان يضحك كثيراً) وصل عدد مرات استخدامها إلى سبع مرات، وهي أيضاً نسبة غير قليلة مقارنةً بحروف الروي الأخرى في هذه القصيدة. ومن ذلك قول الشاعر:

والأشياء العادية، عاديه

والأشياء الملساء، مجرد أشياء ملساء

يجعلنا أحياناً نضحك، إذ يضحك كالخمر السوداء

والرسم البياني الآتي يوضح نسبة استخدام روي (الهمزة) في هذا الديوان:



(شكل رقم: 4)

٥- اللام

وقد استُخدم روي (اللام) في عدد غير قليل في قصائد هذا الديوان، وقد تكرر إلى ٦٤ مرة. وومن المعلوم أن صوت اللام صوت منحرف، حيث يرتفع اللسان عند إنتاجه ليعتمد على أصول الثنايا العليا، مما يمنع خروج الهواء مستقيماً عبر الفم، فيدفعه ذلك إلى الانحراف على جانبي اللسان. وهذا الصوت المنحرف قد يلائم انحراف السلطة الحاكمة، لذا وجدنا هذا الصوت تردد كثيراً بقصيدة (فصول منتزعة):

أترك لكم يا سادتي القوالين

أن تستمنوا في نومكم الأسن

حين تدور برأسكم الخمر، السيئة المبذولة

باللعب بأسيافكم المفلولة

حتى تغمدتها أحلام الصحو المملولة

فبعدهما ذكر الشعر شجاعة خالد بن الوليد وصلاح الدين الأيوبي يتوجه بالمقطع السابق إلى حكام اليوم الذين لا نجني من ورائهم سوى الهزائم والنكسات، ليحدث الشاعر بذلك التناقض المفارقة المطلوبة لإظهار الحقيقة جلية في ذهن المتلقي، فيعلم الفرق الشاسع بين الماضي المنتصر والواقع الأليم، وما لهذا الألم إلا سبب واحد هو انحراف هؤلاء الحكام.

كما تؤكد الدراسة أن صوت (اللام) يتميّز بالصفاء والوضوح في السمع والامتداد. وهو صوت لثوي مجهور، وهو أيضا من الأصوات المضئفة التي قد تناسب أداء امتداد الوصف والخير. ومن ذلك نجد قول الشاعر في قصيدة (فصول منتزعة) وهي قد احتلت المرتبة الثانية في القصيدة بأكملها مع (الميم) و(الذال):

أترك لكم يا سادتي القوالين

أن تستمنوا في نومكم الأسن

حين تدور برأسكم الخمر، السيئة المبذولة

باللعب بأسيافكم المفلولة

حتى تغمدوها أحلام الصحو المملولة

فتظهر هنا ميزة أخرى وهي أن هذه المفردات المقفاة بروي (اللام) الموصولة بالهاء كلها جاءت صفة أو نعتا لموصوفاتها. كما نجد (اللام) كذلك تُسيطر على قصيدة (مرثية صديق كان يضحك كثيرا) ويصل ترددها إلى ٨ مرات، ومثل ذلك قول الشاعر:

كان صديقي في ساعات الليل الأولى

يتجول في بلدته،

كانت بلدته ساعات الليل الأولى

ويُجمع من مهجته المتثوره

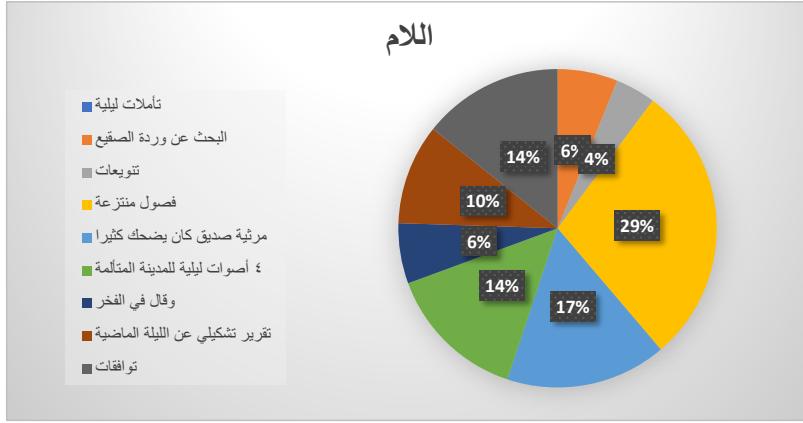
وتحتلّ (اللام) المرتبة الثانية في القصيدة الأخيرة (توافقات)، وقد وصل ترددها إلى ٧ مرات، ومثل ذلك قول الشاعر:

أو يحمل العشق والقتل أو يحمل

الذكريات الغبية، يلقي بها في

ظلام شطوط المساء.. السديم..

وقد جاء روي (اللام) هنا مع حروف أخرى مثل (الفاء) الموصولة بالياء والميم المردوفة بالياء، وهذا التنوع في القوافي يجعل قصيدة (توافقات) ملونة بالشعور والعواطف المتشابهة. والرسم البياني الآتي يوضح نسبة استخدام روي (اللام) في هذا الديوان:



(شكل رقم: 5)

٦ - التاء

وقد زاد استخدام روي (التاء) على حروف أخرى في ديوان "شجر الليل" في قصيدة واحدة فقط وهي قصيدة (تنويعات)، أما في غيرها فقد وردت (التاء) منتشرة على نحو عشوائي في القصائد كلها، ومثل ذلك قول الشاعر في (تنويعات):

والعاهرة اللامعة الفكين الذهبين

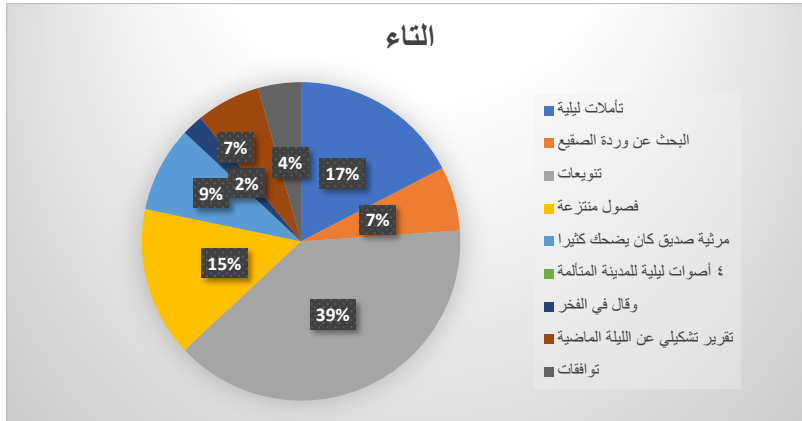
لم تك تدري أن الإنسان هو الموت

لكني كنتُ بسالفِ أيامي،

قد صادفني هذا البيت

((الإنسان هو الموت))

ف (التاء) من الأصوات متوسطة الشيوع في هذا الديوان، وهي من الحروف النادر استخدامها رويًا. والسبب واضح في انتشار هذه القافية داخل هذه القصيدة تحديداً، وهو أنها مرتكزة بشكل كامل على كلمة الموت التي وردت كقافية (11) مرة، فهي بمثابة المحور الذي تدور حوله القصيدة ككل. والرسم البياني الآتي يوضح نسبة استخدام روي (التاء) في الديوان:

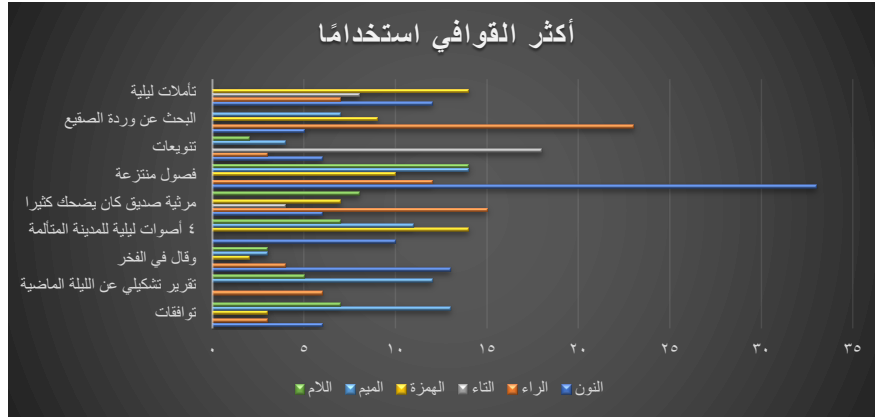


(شكل رقم: 6)

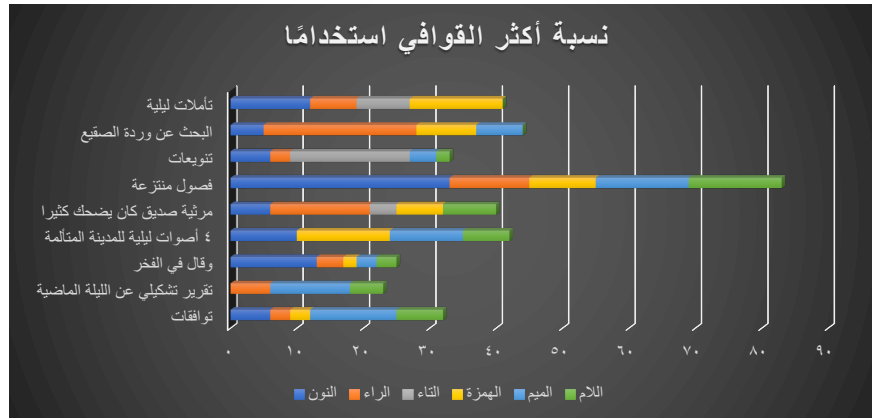
والجدول الآتي يرصد كل القوافي المستخدمة في ديوان شجر الليل:

القافية الأخرى				القافية الرئيسية	القصيدة	
(٤) الياء	(٧) الراء	(٨) التاء	الفاء (١٢)	النون (١٢)	الهمزة (١٤)	تأملات ليلية
(٥) الفاء	(٥) القاف	(٥) النون	(٧) الميم	(٩) الهمزة	(٢٣) الراء	البحث عن وردة الصقيع
(٢) اللام	(٣) الدال	(٣) الراء	(٤) الميم	(٦) النون	(١٨) التاء	تنوعات
(١٠) همزة	الراء (١٢)	الدال (١٤)	اللام (١٤)	الميم (١٤)	النون (٣٣)	فصول منتزعة
(٤) التاء	(٥) الحاء	(٦) النون	همزة (٧)	اللام (٨)	الراء (١٥)	مرثية صديق كان يضحك كثيرا
(٤) الهاء	(٦) الباء	(٧) اللام	النون (١٠)	الميم (١١)	الهمزة (١٤)	٤ أصوات ليلية للمدينة المتألّمة
	همزة (٢)	الميم (٣)	اللام (٣)	الراء (٤)	النون (١٣)	وقال في الفخر
(٤) القاف	(٤) الدال	(٥) اللام	الراء (٦)	الباء (٧)	الميم (١٢)	تقرير تشكيلي عن الليلة المضية
(٣) الدال	الهمزة (٣)	الراء (٣)	النون (٦)	اللام (٧)	الميم (١٣)	توافقات

(شكل رقم: 7)



(شكل رقم: 8)



(شكل رقم: 9)

وتأسيسا على التحليل السابق، وما تم رصده في الجداول والرسوم البيانية السابقة - فإنه يمكن استخلاص بعض النقاط المتعلقة بتلك العناصر الصوتية الأكوستية الممثلة في وتنوع حروف الروي في قصائد ديوان "شجر الليل" لصلاح عبد الصبور:

- ترصد هذه الدراسة ظواهر موسيقية متعددة تُميّز الشاعر وتُبيّن إبداعه الفني عن غيره من الشعراء في عصره. منها أنه لا جدال في أنه رائد فكرة الحدائث الشعرية وشعر التفعيلة الذي لم يتقيد بأي من القيود التقليدية من البحور المتساوية والقوافي المتحدة، وذلك مما تأكّدنا منه أنه متأثر بالثقافات الغربية الداخلة على عصره وعلى الشعراء الذين عاصروه مثل نازك الملائكة والسياب في العراق.
- أن شاعرنا صلاح عبد الصبور يميل في استخدام روي (النون) أكثر من غيره من حروف الروي في ديوان "شجر الليل". وذلك لصفة مرونته ولتناسبه مع مشاعره الغامضة المركبة والتي تُوافق أسلوبه الدرامي، وقد احتل المرتبة الثاني روي (الراء)، وفي المرتبة الثالثة جاءت (الميم)، وكلها أصوات مؤثرة في السمع ومحبة للأذن حين تُستخدم في الغناء الفني والنغم الجميل، وقد يميل الشاعر في بعض الأحيان إلى استخدام (الهمزة) و(اللام) و(التاء).

خلاصة البحث

وقد انتهينا من تحليل تنوع حروف الروي في قوافي ديوان "شجر الليل" لصلاح عبد الصبور، و يمكن أن نستخلص منها عددًا من الخصائص الصوتية المهمة، منها :

- ١- أن صلاح عبد الصبور شاعر يميل إلى استخدام حرف الروي (النون) أكثر من غيرها من حروف الروي في ديوانه "شجر الليل"، وذلك لصفة مرونتها ولتناسبها مع شعور غامض معقود لدى الشاعر التي يوافق أسلوب الشاعر الدرامي، و قد احتل المكان الثاني حرف الروي (الراء)، وفي المرتبة الثالثة جاءت (الميم) كحرف الروي أكثرها استخدامًا وكلها حروف متكررة المؤثرة للسمع و محبة لأن يُستخدم في مثل الغناء الفني والنغم الجميل، وقد يميل الشاعر في بعض الأحيان إلى استخدام (الهمزة) و(اللام) و(التاء).
- ٢- هكذا وصلنا إلى الخلاصة التي جمعناها بين تلك العناصر الصوتية الأكوستية من أنواع القوافي المتمثلة في تنوع حروف الروي في قصائد ديوان (شجر الليل) لصلاح عبد الصبور. وهي تُبرز لنا عددًا من الظواهر الموسيقية المختلفة التي تميز الشاعر و تُميّز إبداعه الفني عن غيره من الشعراء في عصره. منها لا محالة بأن

يقال أنه رائد فكرة الحدائة الشعرية لعدم تقييد شعره بأي من القيود التقليدية من البحور المتساوية والقوافي المتحدة مثلما فعله الشعراء المقلدون، وذلك بأنه متأثر بالثقافات الغربية المعاصرة نتيجة الاحتكاك الثقافي في الشرق العربي حينذاك، وقد وجدنا من معاصريه ممن يسير مثل خطاه مثل نازك الملائكة والسياب في العراق.

٣- التحول الشكلي في شعر التفعيلة هو محاولة تجديد الفكرة والشعور في الابداعات الفنية عند المعاصرين على المستوى الصوتي متمثلة في تجديد شكل الشعر الحديث وتنوع قوافيه وتحليه من القيود الخليلية المعلقة. ولم تخل هذه الظاهرة الموسيقية الحديثة منفصلة عن القيود القديمة من الدلائل النفيسة والمعاني الغزيرة في كل من تلك الظواهر الأكوستيكية الجديدة، بل قد أكد لنا هذا البحث أن تنوع حروف الروي قد فتحت باباً واسعاً للتأويلات والتفسيرات الشعرية مع حداثة تقنياتها المتعددة من خلال ذلك التنوع الجسيم في شعره الحر خصوصاً على المستوى الصوتي.

٤- و من الجانب الآخر أن تلك الظواهر الصوتية المخالفة للتقاليد الشعرية القديمة من تنوع التفاعيل وحروف الروي في القصيدة الواحدة هي التي تُثري المعاني بالفعل وتجعل القصيدة غنية بالتفسيرات والتأويلات الأدبية ولم يقلل من مزاياه الشعرية على الإطلاق، كما أشار على ذلك ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) قديماً من خلال قوله في "الخصائص" : (فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث باب عظيم واسع، ... وذلك أهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها، فيعدلونها بها ويحتدونها عليها.) (ابن جني، ١٩٥٢: ص ١٥٨).

وأكد على ذلك أيضا قول د. محمد النويهي في قضية الشعر الجديد إن : (بين معنى الشعر وموسيقاه ارتباطاً حيويًا، وكلنا يعرف أن القصيدة قد تضيع تمامًا إذا ترجمت إلى كلمات منثورة، فالعنى في الشعر يتطلب موسيقى الشعر حتى تفهم الفهم الكامل) (النويهي ، ١٩٧١: ص ٢٠). فإذا أكثر عدد الموسيقى فبالطبع كثرت العواطف والشعور فيها أيضا، والعكس يُعد صحيح.

٥- فالشعر هو الشعور والعاطفة، وليست مجرد القواعد والألفاظ والقيود اللغوية. الشعر أوسع من اللغة أو مجرد الكلام، وذلك لشمول ما فيه من تضمن المعاني الحية المنبثقة من الأوضاع الزمانية والمكانية لدى الشاعر على منظوره النفسي والاجتماعي والسياسي والثقافي والديني وغير ذلك. فالشعر يسمى شعراً

حينما اكتملت فيه العاطفة والشعور والفكرة وتُلائم ألفظها الأوضاع الحالية التي تحيط الشاعر. فإن لم يصدّق فيها، فلا قيمة لشعره قط.

المصادر والمراجع

- تأكد من وجود 25 مرجعاً على الأقل (80% من المجلات العلمية من السنوات العشر، ويفضل مقالات المجلات الدولية المقهّرة بواسطة Scopus أو Thomson/Clarivate).
- تأكد من كتابة الحواشي والبيبلوغرافيا وفقاً لإرشادات كتابة المجلات العلمية التي تستخدم أسلوب APA الإصدار السادس. يرجى ملاحظة أن كتابة قائمة المراجع لمجلة علمية تختلف عن الكتاب.

المصدر الرئيسي :

- صلاح عبد الصبور، ديوان صلاح عبد الصبور الأعمال الشعرية (القاهرة: دار الشروق، ٢٠١٩).

المراجع :

- أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار (بيروت: دار الهدى للطباعة والنشر، ١٩٥٢) ج ٢.
- أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق: علي البجاوي - محمد إبراهيم (القاهرة: مطبعة الحلبي، ١٩٥٢).
- سيد البحروي، العروض وإيقاع الشعر العربي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة دراسات أدبية، ١٩٩٣).
- شكري عياد، موسيقى الشعر العربي (القاهرة: دار المعرفة، ط ٢، ١٩٧٨).
- صلاح فضل، أساليب الشعرية المعاصرة (بيروت: دار الأداب، ط ١، ١٩٩٥).
- صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر (القاهرة: ميريت للنشر والمعلومات ط ١، ٢٠٠٢)

- صلاح فضل، تحولات الشعر العربية (القاهرة: مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٢)
- علوي الهاشمي، فلسفة الإيقاع في الشعر العربي (بيروت: مؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٦).
- علي عشر زيد، موسيقى الشعر الحر، رسالة الماجستير (القاهرة: قسم النقد الأدبي كلية دار العلوم، ١٩٦٨).
- محمد بن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تحقيق: عباس عبد الساتر (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ٢، ٢٠٠٥).
- محمد حسن عبد العزيز، علم اللغة الحديث (القاهرة: مكتبة الآداب، ط ١، ٢٠١١).
- محمد حماسة عبد اللطيف، شعر صلاح عبد الصبور (دراسة نصية) (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٤).
- محمد النويهي، قضية الشعر الجديد (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط ٢، ١٩٧١ م).
- منال نجار، قراءة براغماتية مقامية لمسيقى القافية ورسمها، ديوان الأعشى نموذجًا، (السعودية: مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية) ٢٠١٧) المجلد ٣١ (٩).
- هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية، ترجمة و تقديم وتعليق الدكتور محمد العمري (البيضاء: مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية، ط ١، ١٩٨٩)
- www.sahafi.jo/arc/art1.php?id القدس العربي، جدلية الفكرة والصورة بين عبد الصبور وبيتس، (٦ أغسطس ٢٠٠٥).

-صبيرة قاسي، من عناصر الإيقاع في القصيدة العربية المعاصرة دراسة تطبيقية في "شجر الليل" لصلاح عبد الصبور
(الجزائر : جامعة -البويرة- ٢٠٠٧)-
(<https://revue.ummo.dz/index.php/khitab/article/view/530>)

-أحمد عادل عمار، أشكال التمرد الإيقاعية التقليدية عند صلاح عبد الصبور، (القاهرة : جامعة
القاهرة، ٢٠١٥) (<https://search.emarefa.net/ar/detail/BIM-821223>)-أشكال-التمرد-الإيقاعية-
التقليدية-عند-صلاح-عبد-الصبور)

-إيناس محمد سيد حسن، دور الكلمة في شعر صلاح عبد الصبور "الناس في بلادي" أمودجًا، ل (جامعة
الأزهر)(الإسكندرية: المجلد الثاني من العدد الرابع والثلاثين حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات
بالإسكندرية،
٢٠١٨)
(https://bfdajournals.ekb.eg/article_27131_b09a270253a9ff733948310b99189238.)
(pdf)

-آلاء ياسين دياب، غسان السيد، النقد الثقافي واستقباله في النقد العربي الحديث (دمشق : مجلة جامعة
حماة - المجلد الأول - العدد التاسع - ٢٠١٨)
(<https://www.google.co.id/url?sa=t&rct=j&q=&esrc=s&source=web&cd=&ved=2ahUKewjhhaTUxNaAAxX6SWwGHYxTAeMQFnoECBoQAQ&url=https%3A%2F%2Fhama-univ.edu.sy%2Ffojs%2Findex.php%2Fhuj%2Farticle%2Fview%2F143%2F124&usq=AOvVaw21GnCszVFLElnRIW-VgWql&opi=89978449>)

- أحمد عمار، البحث عن الصوت المتفرد... دراسة إيقاعية لقصيدة "عندما أوغل السندباد وعاد"
لصلاح عبد الصبور (القاهرة : العدد الرابع والعشرون الجزء الخامس جامعة الأزهر حولية كلية اللغة
العربية بنين بجرجا ٢٠٢٠)

(https://journals.ekb.eg/article_105873_f0f37e314d52e7e6744def4a550105f2.pdf)